لا قاع للقاع..

منذ سنة ١٩٤٨ ونحن نهوي في هاوية لا نهاية لها، ثم لنبدأ رحلة الصعود والبناء والتغيير. ولكن للأسف لا قاع للقاع. تمر السنين تلو السنين، ونستمر بدفع ثمن الحرية من لحمنا ودمنا، وجاهزين دائما للتضحية وبلا حدود، ولم يبق بيت فلسطيني الا وقدم الشهداء والأسرى والجرحى من اجل حلم الدولة والاستقلال، ونحن ما زلنا ننتظر الفرج. الفرج اصبح شعارنا فلا جاء فرج ويبدو ان الصبر تحول لصابر وهاجر صابر وتركنا صابرين وحيدين مجبرين على الصبر والحرمان والقهر والخذلان.

منذ النكبة وحتى الان والحروب لا تتوقف والانتفاضات لا تنتهي. أيعقل ان نخوض ستة حروب خلال ١٤ عام. هل نحن المقاول الوحيد بالعالم لخوض الحروب نيابة عن العالم اجمع. يبدو اننا اصبحنا حقل تجارب لكل اسلحة الكون. هل قدرنا ان نعيش ونموت في هذا الصراع المقيت على ارض باقية لن تزول ولن تتغير ولن تغادر مكانها وباقية منذ الازل ولكن حتما سنزول نحن والاحتلال وكل من على وجه البسيطة من بشر بعد مائة عام سيكونون امواتا تحت الثرى، حتى من ولد اليوم فالصراع بانتظاره سيعيش العذاب ثم يغادر.

هل قدرنا كفلسطينيين ان نتشتت في بقاع الأرض؟ والباقين اما ان يستشهدوا، او يعتقلوا، او يصابوا بالحروب، او يهجروا، ويموتوا غرباء مقهورين يحلمون بيوم عودتهم الى منبتهم الأول؟! بتنا نذبح بالمئات في كل يوم على مرئ من العالم أمام شاشات التلفاز، والعالم لا يحرك ساكنا. الا فئة قليلة من احرار العالم الذين يشعرون بنا ويتضامنون معنا ويهتفون الحرية لفلسطين، واوقفوا الحرب في غزة!

منذ سنة ٢٠٠٩ والى الان والهتاف لا يتوقف. لا نكاد نلتقط انفاسنا من الحرب حتى نبدأ حرب جديدة أشد من سابقتها وتستمر الحروب كصخرة سيزيف، وفي كل مرة نفس الدمار ونفس الموت ونفس النتائج. منذ ١٦٠ يوما ولازلنا نتعرض لحرب طاحنة لا اعتقد ان التاريخ شهد ابشع منها. الاف الاطفال والنساء والشيوخ قد استشهدوا. وزارة الصحة اليوم اعلنت ان عدد الشهداء قد تجاوز احدى وثلاثون الفا، واكثر من مائة الف مصاب، وآلاف المعتقلين، وطبعا احصائية وزارة الصحة بناء على من وصلت جثثهم الى المستشفى. اما الألاف ممن بقوا تحت انقاض منازلهم ومن دفنوا في مقابر جماعية ومن فقدوا فهؤلاء جميعا خارج العدد المعلن. الله وحده يعلم من مات ومن ظل حيا.

منذ ان وعيت على هذه الدنيا وانا اسمع نفس الاخبار، ونفس التعليقات، ونفس الجمل التي لا طائل منها، مثل وين العرب؟ كم تغيظني هذه الجملة لأننا منذ بداية النكبة ونحن نناشد العرب ولا من مجيب. لابد اذاً ان نتوقف عن ذلك ونبحث عن ادوات اخرى للتحرر، غير العرب او الاحتلال المجرم. تغيظني اكثر بعد كل تلك المجازر واحتلال ارضنا وهذا العقاب والبغض والكره لشعبنا الممتد من سنة ١٩٤٨وحتى الان، أننا نحتاج ان نعلّم ان الإحتلال مجرم وقاتل! هل ترك الاحتلال شكل للعقاب، من قتل واعتقال وتقطيع اطراف وتهجير وتجويع؟! هل سلم احد من جبروتهم؟ سواء اطفال ام شيوخ او نساء او شجر او حجر حتى الهواء والتربة تم تلويثهما باليورانيوم المسرطن. يبدو اننا بحاجة لخطاب جديد، لفكر مختلف نستطيع من خلاله ان نلملم ما تبقى لنا، ونفكر كيف ننال حريتنا. ونستعيد حقوقنا بعيدا عن النمطية وتجريب المجرب وحتى نجدد خطابنا يجب ان نجدد الحالة السياسية والتنظيمية برمتها.

علي ابو ياسين
2024/3/10